الزوجة المستشارة

من نعمة الله على عبده أن يَمُنَّ عليه بزوجة ذات رأي سديد، وقول صائب، ونظر ثاقب؛ فتكون ملاذاً عند الشدائد، ودليل خير إلى وجوه النُّجْح والمحامد، وهذا من نعيم الدنيا وزينتها.

وفي طليعة النساء اللاتي حُمِد رأيهنَّ مع أزواجهن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما أتاها الرسول ﷺ بعد لقاء جبريل عليه السلام ترجف بوادره، فقال: «**زمِّلوني زمِّلوني**»، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، ثم قال لخديجة: «**أي خديجة، ما لي**» وأخبرها الخبر، قال: «**لقد خشيت على نفسي**»، قالت له خديجة: كلا أبشر، فوالله، لا يخزيك الله أبداً، والله، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له: أي عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ يا ليتني فيها جذعاً[1]، يا ليتني أكون حيّاً حين

(١) في مجيئها منصوبة يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (١/٢٦): =

يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: «**أوَ مُخرجيَّ هم؟**» قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً[(١)].

فلقد وفِّقت خديجة رضي الله عنها في تهدئة روع الرسول ﷺ بهذه الكلمات العظيمة؛ وهذا التصرف الحكيم؛ وتأمل كيف أن النبي ﷺ قصد خديجة، ولم يذهب لعمه أبي طالب، مع اهتمامه به، وحَدَبه عليه؛ فهذا يؤكد رجحان عقل خديجة، وحُسْن نظرها، وصدق نصيحتها، وسداد رأيها؛ ولذا يقول الحافظ ابن حجر: «في هذه القصة من الفوائد استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه، وأن من نزل به أمر استحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته، وصحة رأيه»[(٢)].

ومن النساء اللاتي حُمد رأيهن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في رأيها الذي بذلته للنبي ﷺ يوم الحُديبية؛ فإنه ﷺ لما فرغ من صلح الحديبية، قال لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» فما قام رجل منهم، وكانوا لا يرجون الانصراف دون أن يعتمروا، فكرَّر رسول الله ﷺ أمره ثلاثاً، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فما كان

= «بالنصب على أنه خبر كان المقدرة، وقيل التقدير: يا ليتني جُعلتُ فيها جذعاً، وقيل: النصب على الحال...» اهـ بتصرف.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٢٢).

من أُمِّنا رضي الله عنها وهي المرأة ذات العقل الراجح، والرأي الجزل الصائب إلا أن قالت: يا نبيَّ الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً[(١)].

فلِلَّه دَرُّ أم سلمة، كيف كان رأيها سبباً مباركاً لإنهاء هذا الموقف العصيب.

قال الخطابي: «وفي قَبولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إشارةَ أمِّ سلمة عليه بأن يبدأ بنحر هديه، وحلق رأسه: دليلٌ على جواز مشاورة النساء، وقَبول قولهن إذا كنَّ مصيبات فيما يشرن به»[(٢)].

ومن هؤلاء النساء أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ورأيها المبارك لزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وذلك أنه أتاه مالٌ من حضرموت، قدرُه سبع مائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجتُه أمُّ كلثوم بنتُ الصديق: ما لك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظنُّ رجلٍ بربِّه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخِلَّائك؟ فإذا أصبحتَ، فادع بجفان وقصاع، فقسِّمه، فقال لها: رحمك الله، إنك موفَّقة بنت

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).
(٢) معالم السنن (٢/ ٣٣٣).

موفَّق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسَّمها بين المهاجرين والأنصار[١].

فانظر إلى إعجاب طلحة رضي الله عنه برأي زوجته، وثنائه عليها بأنها موفقة بنت موفق!

ومن هؤلاء النساء زوجة محمد بن عمر الواقدي، صاحب المغازي، فقد أشارت على زوجها برأي جزل، فأخذ به فأفلح وأنجح؛ في قصة من أعجب قصص الإيثار؛ وذلك أن الواقدي أصيب بضائقة مالية، وقد حضر العيد، وليس عنده من النفقة شيء، فماذا فعل؟

يحدِّث الواقدي فيقول: «فمضيت إلى صديق لي من التجار، فعرَّفته حاجتي إلى القرض، فأخرج إليَّ كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم، فأخذته وانصرفت إلى منزلي، فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشمي، فشكى إليَّ تأخر غَلَّته، وحاجته إلى القرض.

فدخلت إلى زوجتي فأخبرتها، فقالت: على أي شيء عزمت؟ قلت: على أن أقاسمه الكيس، قالت: ما صنعت شيئاً أتيت رجلاً سُوقةً[٢]، فأعطاك ألفاً ومئتي درهم، وجاءك رجل

(١) تاريخ بغداد (١/ ٣٠).

(٢) **السُّوقة من الناس**: من لم يكن ذا سلطان، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك؛ سمُّوا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم. ينظر: اللسان (١٠/ ١٧٠).

له من رسول الله ﷺ رحمٌ ماسَّة[(١)]، تعطيه نصف ما أعطاك السُّوقة؟! ما هذا شيئاً، أعطه الكيس كلَّه.

يقول الواقدي: فأخرجت الكيس كلَّه فدفعته إليه، ومضى صديقي التاجر إلى الهاشمي وكان له صديقاً فسأله القرض، فأخرج الهاشمي إليه الكيس، فلما رأى خاتَمه عرفه، وانصرف إليَّ فخبَّرني بالأمر.

يقول الواقدي: «فركبت إلى يحيى بن خالد البرمكي، فأخبرته بخبر الكيس، فقال: يا غلام هات تلك الدنانير فجاءه بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ ألفي دينار لك، وألفين لصديقك، وألفين للهاشمي، وأربعة آلاف لزوجتك؛ فإنها أكرمكم»[(٢)].

فتأمل في هذه القصة العجيبة، وما فيها من الإيثار النادر، والعوض العظيم السريع، والذي يعنينا هنا هو رأي هذه المرأة السخية السمحة، كيف أشارت على زوجها أن ينفق الدراهم كلها مع عوَزهم الشديد، وحاجتهم لهذه الدراهم؟!

فكانت بحسن نيتها، وصدق رأيها ونصيحتها أوفر هؤلاء مالاً، وأكثرهم عوضاً.

فهذه الحكايات ونحوها تبين بأن المرأة سديدة الرأي تكون بركة على زوجها ورحمة، وصدق من قال: «ما أعان

(١) أي: قرابة قريبة. ينظر: اللسان (٦/ ٢١٨).
(٢) تاريخ بغداد (٣/ ١٩).

على نظم مروءات الرجال كالنساء الصوالح»[(١)]، ومن أسباب نيل ذلك أن يدعو المسلم ربه بأن يبارك له في زوجه؛ وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يكثر أن يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللَّهُمَّ بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا»[(٢)]، ومن بركة الزوجة بركة رأيها.

كما أن في استشارةِ الرسول ﷺ لزوجاته، واعتبارٍ رأيهن، والحكاياتِ الأخرى التي تبين نُضج رأي المرأة ردّاً على أولئك القوم الذين يحتقرون رأي المرأة، ولا يعتبرونه شيئاً؛ فلا يستشيرون نسائهم في كبير ولا صغير؛ بل يعدون استشارتهن ضعفاً ومهانة؛ وهذه نزعة جاهلية، ولوثة كبر خفية.

وربما استدل بعض هؤلاء بأحاديث باطلة، مثل حديث: «شاوروهن وخالفوهن»[(٣)]، وحديث: «طاعة المرأة ندامة»[(٤)].

واستشارة الرجل زوجته لا ينقص رجولته؛ ولا يخدش قوامته؛ بل يقوي أواصر المودة بينه وبين زوجته، وربما ظفر منها برأي يكون سبباً لانجلاء همه، وانفراج كربه، وانشراح صدره.

(١) تاريخ دمشق (٢٢/ ١٥٤).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٣٠)، وروي مرفوعاً، ولا يصح كما أشار إليه الدارقطني في العلل (٥/ ٨٥).
(٣) قال السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٢٦٧): «باطل لا أصل له».
(٤) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٣٥): «موضوع».